دور الشريعة الإسلامية في ضمان حقو ق الانسان

الأساس الشرعي لحماية حقوق الانسان

م.م حسنين علاء محمد

تُعد الشريعة الإسلامية من أعظم المصادر التي أرست مبادئ حقوق الإنسان ورسخت مفاهيم العدالة والمساواة والكرامة الإنسانية منذ أربعة عشر قرنا حيث جاءت الشريعة بنظام متكامل ينظم حياة الفرد والمجتمع ويراعي حقوق الإنسان في جميع مناحي الحياة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو دينية أو فكرية وقد كانت مبادئ الشريعة سباقة في إقرار كثير من الحقوق التي لم تعرفها التشريعات الوضعية إلا في العصور المتأخرة

إن الشريعة الإسلامية تؤمن بكرامة الإنسان لذاته لا لجنسه أو لونه أو لغته أو دينه فقد قال الله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وهذه الآية تُعد إعلانًا إلهيا بكرامة الإنسان وحقه في العيش الكريم بغض النظر عن معتقده أو عرقه وقد جاءت نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية تؤكد هذا المعنى وتحث على احترام النفس البشرية وصونها من كل اعتداء

ومن أهم الحقوق التي أقرتها الشريعة الإسلامية الحق في الحياة إذ جعلت النفس الإنسانية مصونة لا يجوز التعدي عليها بأي شكل من الأشكال إلا بحق وقد اعتبر الإسلام قتل النفس بغير حق من أعظم الكبائر قال تعالى من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا كما أقر الإسلام حق الإنسان في الأمن والأمان وعدم الخوف والاعتداء على حريته وخصوصيته وجعل الاعتداء على الإنسان بغير حق جريمة يعاقب عليها القانون

ومن حقوق الإنسان التي اهتمت بها الشريعة أيضا الحق في المساواة بين الناس جميعا فقد أكد الإسلام أن البشر متساوون في أصل الخلقة والكرامة والحقوق والواجبات ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح وقد ورد في خطبة الوداع للنبي محمد صلى الله عليه وسلم قوله أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى وهذا النص يُعد بمثابة إعلان عالمي للمساواة بين البشر منذ أربعة عشر قرنا

وأقرت الشريعة الإسلامية كذلك حق الإنسان في الحرية الفكرية والدينية فقد ورد في القرآن الكريم لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي وهذه الآية تؤكد على حرية الإنسان في الاعتقاد وعدم إجباره على تغيير دينه أو معتقده كما حث الإسلام على الحوار والتعايش السلمي بين الأديان والاعتراف بالتعددية الفكرية والثقافية بين الشعوب

كما ضمنت الشريعة الإسلامية حقوق المرأة والطفل وذوي الاحتياجات الخاصة فقد أعطى الإسلام للمرأة مكانة عالية وكرمها أما وزوجة وبنتا وراعى حقوقها في النفقة والتعليم والميراث والعمل وحرية التعبير وكذلك اهتم بحقوق الأطفال وفرض رعايتهم وتربيتهم تربية صالحة وحرص على حمايتهم من الاستغلال والإهمال كما اعتبر الإسلام أن لذوي الاحتياجات الخاصة حقوقا لا تقل عن غيرهم ويجب معاملتهم بالرحمة والرعاية وتقديم المساعدة لهم

ومن الحقوق التي رسختها الشريعة أيضا الحق في العمل والعيش الكريم فقد حث الإسلام على العمل واعتبره من وسائل الكسب المشروع وضمن للعامل حقوقه المادية والمعنوية وأمر أصحاب العمل بأداء الأجور كاملة دون تأخير أو ظلم كما نهى الإسلام عن الاحتكار والغش والربا وكل أشكال الاستغلال الاقتصادي التي تضر بالفقراء والضعفاء

ومن أبرز مظاهر اهتمام الإسلام بحقوق الإنسان تلك الوثائق الإسلامية الخالدة التي وردت في التاريخ الإسلامي والتي تُعد من أقدم الإعلانات الحقوقية في تاريخ البشرية وتُعتبر مرجعا عظيما في فهم رؤية الإسلام لحقوق الإنسان ومن أهم هذه الوثائق **وثيقة المدينة** التي عقدها النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع سكان المدينة من المسلمين واليهود وغيرهم والتي أقرت مبدأ التعايش السلمي بين الأديان والطوائف وأرست دعائم المواطنة المتساوية والعدل والحرية الدينية والحقوق المدنية

وقد تضمنت وثيقة المدينة أحكاما تُقر لكل فرد في المدينة حقه في الأمن والمشاركة في الدفاع عنها واحترام العهود والمواثيق كما أكدت الوثيقة أن الجميع يشكلون أمة واحدة متماسكة رغم اختلاف الأديان والأعراق وهو ما يُعد سابقة تاريخية في إدارة التنوع الديني والثقافي في مجتمع واحد

أما الوثيقة الثانية المهمة فهي **خطبة حجة الوداع** التي ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع والتي تُعد بحق إعلانًا عالميًا لحقوق الإنسان فقد شملت الخطبة تأكيدًا على حرمة الدماء والأموال والأعراض وبيانًا لحقوق المرأة والمساواة بين الناس ورفض الظلم والاستغلال وكل أشكال الفساد وقد ورد فيها إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا

كما قال في الخطبة استوصوا بالنساء خيرا وأكد على المساواة بقوله لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى وهذه الخطبة تُعد من أهم الوثائق الحقوقية في الإسلام التي تعكس عمق مبادئ الشريعة في حماية الكرامة الإنسانية والعدل والسلام

وثيقة ثالثة مهمة أيضًا هي **عهد الخليفة عمر بن الخطاب لأهل القدس** والذي أقر فيه حرية العقيدة وحرمة الكنائس وعدم إجبار أحد على تغيير دينه وضمان الأمن والأمان لكل السكان دون تمييز ديني أو عرقي وهو ما يُعد نموذجا عظيما في التسامح الديني والتعايش السلمي

ولا يمكن الحديث عن الضمانات الإسلامية لحقوق الإنسان دون الإشارة إلى أن الشريعة الإسلامية قد أرست آليات متعددة لحماية هذه الحقوق منها مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يُعد وسيلة لمراقبة الأداء المجتمعي والحكومي والتصدي لأي انتهاك كما أن نظام القضاء في الإسلام يُعد أحد أقوى الأدوات في رد الحقوق إلى أصحابها ومنع الظلم وحماية الضعفاء وقد جعل الإسلام القضاء مستقلا ونزيها وأمر القضاة بالحكم بالعدل دون خوف أو محاباة

وفي الختام يمكن القول إن الشريعة الإسلامية تمثل منظومة متكاملة لحماية حقوق الإنسان حيث لم تقتصر على النصوص النظرية بل طبقت هذه المبادئ عمليا عبر التاريخ من خلال التجربة النبوية والخلافة الراشدة والوثائق الإسلامية الخالدة وقد سبقت الشريعة في إقرار هذه الحقوق جميع المواثيق الدولية والأنظمة الوضعية وتُعد نموذجا فريدا يُحتذى به في الجمع بين القيم الروحية والمبادئ الإنسانية الشاملة